

تأثير آراء محمد عبده في أشعار حافظ إبراهيم الاجتماعية

الدكتور علي پیرانی شال^١، أحمد اميدوار^٢

الملخص

إن نضال حافظ إبراهيم، شاعر النيل، مع ظروف بيئته جعله محبباً إلى النفوس، فاتصل في أثناء نضاله، بالشيخ محمد عبده وتأثر به في أشعاره السياسية والاجتماعية. و في آرائه حول التعليم و التربية و المرأة والدفاع عن حقوقها. إنه في مجال السياسة يردّد نغمات الشيخ فيعجب بالإنجليز و يطري مزايهم رغم وطنيته و يعلّل قوتهم بالشورى و العدل و التعاون و نراه يودع اللورد كرومر الداهية و يثني عليه لأنه كان صديقاً ل محمد عبده ولا يثور على الإنجليز إلا بنوع من اللباقة و الخيلة التي كانت من تأثيرات الشيخ. و في مجال التربية و التعليم يؤكّد على آراء الشيخ و يدعو الناس إلى تحسين أخلاقهم و تقدّم أمر التربية على التعليم و يدعو إلى تربية البنات و يفضلّ العصر الجاهلي على العصر المعاصر لفساد أخلاق الناس. و في مجال المرأة يقف حافظ كأستاذة إلى جانبها و يدافع عنها داعياً إلى جميع ما لها من الحقوق و يرى أنّ إصلاح المرأة و الأسرة هو إصلاح الأمة فيدم تقييد النساء و إذلالها لكنه مع ذلك دعا إلى لزوم المرأة البيت و يردّد نغمة الشيخ في الحجاب فيذهب إلى أن النقاب ليس من المشروعات الإسلامية.

المفردات الرئيسية: حافظ إبراهيم، الشيخ محمد عبده، السياسة، التربية و التعليم، المرأة.

مقدمة

إنّ الشاعر لا يزال يتأثر بما يتصل به و من الغفلة أن نظنّ أنّه يعيش في دنياه الخيالية بشخصية مستقلة لا يؤثر فيها شيء. وإن الشعر في الحقيقة مرآة ناصعة صافية ينعكس عليها حياة أهله كما تنعكس عليه ما تأثر به ناشده من الاتصال بالآخرين.

www.pirani@tmu.com

١. أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة «تريت معلم طهران»

٢. ماجستير في اللغة العربية و آدابها بجامعة «تريت معلم طهران»

تاريخ القبول: ٨٨/٧/٢٥

تاريخ الوصول: ٨٧/٩/٢٦

وليس يستثنى حافظ إبراهيم «شاعر النيل» عن هذه التأثيرات في الظروف التي كانت مصر تعيش في عذاب مستمرّ تحت نير الإنجليز الذين حاولوا بكل مaldiهم من حيل و سطوة إخضاع مصر و في الظروف التي كان الجهل فاشياً و الوعي ضئيلاً فيها. في هذه الحقبة كثير من مصلحي الأمة منهم الشيخ محمد عبده وقفوا إلى بجانب الناس يدعونهم إلى إصلاح النفوس و التربية أملاً في تقدّم بلدهم فاختلف حافظ بالشيخ محمد عبده.

إن كثيراً من النقاد و مؤرخي الأدب العربي اهتموا بديوان حافظ و شرحوا أشعاره السياسية و الاجتماعية مخصّصين لها كتاباً تاماً أو غامزين إليها من خلال دراساتهم و أشاروا إلى تأثير الشيخ في أشعاره إشارة و حيزة و لم يبينوا لنا أبعاد هذه التأثيرات إلا في القليل النادر كما إننا ما وجدنا كتاباً او بحثاً يتناول هذا الجانب بشكل خاصّ فلذلك كان المقصود في هذا البحث تبيناً لجوانب هذه التأثيرات و مقارنة آراء الشيخ بأشعار حافظ كي نرى كيف ظهرت و أين بدت. هذا المقال يتناول هذا الموضوع بشكل خاصّ و اعتمد فيه على عدّة من كتب الأدب العربي.

نبذة عن حياة حافظ إبراهيم

اختلفت أقوال العلماء في سنة ولادة محمد حافظ فذهب بعضهم إلى أن مولده كان سنة ١٨٧٠م (ضيف، ص ١٠٠) والبعض الآخر إلى أنه كان سنة ١٨٧١م (الباوي، ص ٤٨) وذهب الفريق الثالث إلى أنه كان سنة ١٨٧٢م (كرد علي، ص ١٦٢) واتفقت على أن حافظاً ولد في سفينة ذهبية كانت ترسو على شاطئ النيل أمام بلدة ديروط في أعلى صعيد مصر، من أب مصري مهندس اسمه إبراهيم فهمي و أم تركية الأصل اسمها الست هاتم كريمة أحمد البورصة لي. توفي والده وعمره أربع سنوات و توفيت والدته فظل يعيش في بيت خاله. ثم انتقل مع خاله إلى طنطا و ملاً فراغه بالمطالعة و قرض الشعر، ثم أكب إلى المحاماة فأخفق فانتقل إلى القاهرة و التحق بالمدرسة الحربية فتخرج ظابطاً و في سنة ١٨٩٦ للميلاد أرسل إلى السودان فاشترك في ثورة مع بعض الضباط فعوقب فعاد إلى مصر فقاسى الضياع و الحاجة و قلة الأمل، كان يغشى في تلك الحقبة مجالس الأستاذ الإمام محمد عبده. و توفي شاعر النيل سنة ١٩٣٢ للميلاد (ضيف، ص ١٠٢-١٠١).

نبذة عن حياة الشيخ محمد عبده

ولد محمد عبده بحصة شبشير من قرى إقليم الغربية في سنة ١٨٤٩ م، ولكنه نشأ بقرية «محلة نصر» من قرى مركز شبراخيت بإقليم البحيرة حيث نشأ والده و نشأت أسرته من قبله. (العقاد، ص ٤٧) تلقى الشيخ محمد تعليمه الأول، القراءة و الكتابة و حفظ القرآن بالقرية ثم ذهب إلى الجامع

الأحمدي بطنطا ولكن أساليب التدريس العقيمة قد صدته عن قبول الدروس، فقرر هجران الدراسة بعد عام من شروعه فيها و بعد هذه الفترة التقى بالشيخ درويش خضر - خال والده- فألقى إليه ببعض من أفكار التصوف و قاده إلى شيءٍ من السلوك الصوفي فعادت إليه الرغبة في طلب العلم و عاد إلى الجامع الأحمدي و الأسدي بخدمات جلية فيها و في سنة ١٨٩٩ م عين في منصب مفتي الديار المصرية و في سنة ١٩٠٠ م أسس جمعية إحياء العلوم العربية التي حققت و نشرت عدداً من آثار التراث العربي الاسلامي الفكرية الهامة و استمر في ذلك زهاء ست سنوات إلى وفاته في ١١ تموز سنة ١٩٠٥ م في مدينة الإسكندرية عن عمر سبعة و خمسين عاماً. (البابوي صص٤٤-٤١).

اتصال حافظ إبراهيم بمحمد عبده وتأثير هذا الاتصال

إنّ الأدب في أبسط تعريف له هو التعبير عن الحياة (تيمور، ص١٨٨) و إنّ ارتباط الأديب بقضايا عصره على اختلاف أنواعها و بمشكلات الحياة في المجتمع الذي يعيش فيه ليس شيئاً غريباً على طبيعة الأديب و إنّ الحس المرهف لا يمكن أن يسمح للأديب أن يعيش في عزلة عن قضايا بيئته و مشكلاتها (إسماعيل، ص ٣٧٤) و إنّ حافظاً يستجيب لنداء هذا الحس خاصة بعدما حاول أن يشتغل في صحيفة الأهرام و لكنها أغلقت أبوابها في وجهه فاتجه إلى الشيخ محمد عبده فلزمه. أما هو فيقول عن اتصاله بالشيخ «لقد كنت ألصق الناس بالإمام و أغشى داره و أردته أنماه و التقط أنماه» (ضيف، ص١٠٢). إنه كان يجب أستاذه. و بعض المؤرخين يتكلمون عن هذا الحب و الحزن بعد وفاة محمد عبده في قلب حافظ. يروي كتاب سيرته أنه بعد وفاة الشيخ شعر بالفراغ فتلمس السلوى عن هذه البلوى في الزواج و اقترن بابنة رجل من أثرياء حي العابدين (شرارة، ص٢٠) ثم كان يترقب الموت لكثرة ما فكّر به أيامه الخالية و كثرة ما وقف على المنابر مؤنباً يشيع أصدقائه و محبيه إلى العالم الآخر منذ وفاة أستاذه الشيخ محمد عبده حتى أيامه الأخيرة (نفسه، ص ٤٠)

فما هو سبب هذا الحبّ و الحزن عند حافظ؟ «لأنّه كان فقيراً فأعانه و جاهلاً فعلمه و مغموراً فرفع ذكره و عرفه بكثير من عظماء مصر و علمائها فلا بدع اذا انتهج منهجه...» (الدسوقي، ٢ /١٠٨) و فإربنا فلا بدع أن يحبه هذا الحب و يحزن لموته هذا الحزن ولكن هل أنّ هذا الاتصال في شعر حافظ؟

فقد «عطف مفتي المصر الشيخ محمد عبده على حافظ عطفاً خاصاً و أخذ يلقنه من طرف خفي ما يجب إدخاله في الشعر من تجدد و يريده أن يطرق معاني جديدة في الإصلاح من حض المصريين على النهوض و دعوتهم إلى تحسين الأخلاق و التربية و إلى الاعتصام بحب لغتهم و الإعجاب بتأريخهم و

المحافظة على شخصيتهم و شعائرهم و إنكارهم ظلم القابضين على أمرهم» (تجد علي، ص١٦٣) و لذلك «إن كنت تريد ما يضطرب في قلوب زعماء مصر و مصلحيها من دعوات عقلية و روحية و سياسية فالقيارة (أشعارحافظ) نفسها تتدفق عليها هذه الأنغام و كأنها تعتصرها اعتصاراً» (ضيف، ص١٠٣) و «بذلك هياً له اتصاله بالشيخ محمدعبده أن يعيش في البيئة الطامحة إلى الإصلاح و كان في الوقت نفسه يعيش في بيئة الشعب الفقيرة التي نشأ فيها و يختلط بحكم بؤسه...» (محمد عويضة، ص١٤). و هناك دليل أوضح لتأثر حافظ بالشيخ و هو كتاب «ليالي سطيح» و «ولقد تأثر حافظ بمنهج أستاذه الإمام منذ اتصل به في السياسة و الإصلاح فكتابه «ليالي سطيح» ليس إلا من وحي تعليم الإمام. و قصائده الاجتماعية و نقده للمجتمع المصري في شتى أحواله و مختلف رجاله ليس إلا تأثراً بمنهج الإمام» (الدسوقي، ١٠٦/٢) أما هذا الكتاب فهو «... مقالات نثرية على طريقة المقامات صوّر فيها على لسان سطيح الكاهن الجاهلي كثيراً من عيوب الشعب الاجتماعية متأثراً في ذلك أوضح التأثير بآراء الشيخ محمدعبده الإصلاحية» (ضيف، ص١٠٣).

و هكذا فإن حافظاً تأثر بمحمد عبده في هذا الكتاب الذي يعرب عن آرائه التي أدخلها في أشعاره و يرى الدكتور زكي مبارك أن آراء حافظ في شعره و أدبه هي آرائه في ليالي سطيح و يقول: «من لم ير حافظاً في ليالي سطيح فهو عن أدبه من الغافلين» (مبارك، ص ٥٦) و حافظ أيضاً يصدّق هذا التأثير في ديوانه و يقول:

صَحِبْتُ الْمُهْدِي عِشْرِينَ يَوْمًا وَ لَيْلَةً فَفَرَّقَ يَقِينِي بَعْدَ مَا كَانَ يَرْتَجِفُ
فَرَحْتُ وَ فِي نَفْسِي مِنَ الْيَأْسِ صَارُمٌ وَ عُدْتُ وَ فِي صَدْرِي مِنَ الْحِلْمِ مُصْحَفُ
وَ كُنْتُ كَمَا كَانَ ابْنُ عِمْرَانَ نَاشِئًا وَ كَانَ كَمَنْ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ يُوَصَّفُ^١

(حافظ، ص ٢١)

حافظ إبراهيم والتأثر بالشعراء و الأدباء الآخرين

بقي هنا سؤال آخر و هو أن شاعر النيل اختلط بكثير من أبناء الشعب ألم يكن لهم دور في توجيه شعره؟ فلا بد لنا من القول: بلى ولكن تأثر محمد عبده كان أكبر تأثير في أشعاره و أن تأثير هولاء في حافظ كان في ظل تأثير الشيخ:

1. يشير إلى قصة نبي الله موسى (ع) مع الخضر (ع).

لأن محمد عبده هو الذي مهد لحافظ الاختلاط بمولاء هذا من جهة و من جهة اخرى أن هولاء كانوا أنفسهم تلاميذ الشيخ و متأثرين بآرائه و لهذا، فإن هذا التأثير كان لمحمد عبده ولكنه عن طريق تلاميذه.

«صحب حافظ طبقة مثلى منهم التجوء إلى وعسون و رضامطران و بركات و صحب أمثالهم من العلماء المصريين وأدبائهم أمثال قاسم أمين و حسن عاصم و أحمد فتحي زغلول و أحمد زكي ... و أضرابهم من الرجال المصريين اختارهم أو اختاروه ... و واسطة العقد الأستاذ محمد عبده و كان منزله في عين الشمس مجمع العلماء و الأدباء يضم إليه أصناف الرجال و ألوان أرباب القرائح والعبقرية» (كرد علي، ص ١٤). فكما ذكرنا آنفا «فقد تعرف عن طريقه على الطبقة الممتازة من المصريين... وهي الطبقة التي كانت تفكر في الإصلاح الديني و الاجتماعي و السياسي» (ضيف، ص ١٠٣) و إن حافظاً نفسه يرى في هذه الطبقة الممتازة روح الشيخ و يريد منهم أن يجعلوا الشيخ نموذجاً و أسوة لحياتهم فيطلب إلى سعد زغلول أن يجي أيام الشيخ في قصيدة عنوانها «إلى ناظر المعارف سعد زغلول باشا»:

ي ا سعدُ إنَّ بِمِصرَأيـ	تاما تُؤمَلُ فيكَ سَعدا
قَد قامَ بَينَهُمُ و بَـ	نَ العِلمِ ضِيقُ الحِمالِ سَدَا
ما زِلتُ أَرْجُوا أنْ أرا	لَكَ أباً و أنْ ألقاكَ جَدَا
فَارُدُّ لَنَا عَهْدَ الإِما	م و كُنْ بنا الرَّجُلُ المُفدَى

(حافظ، ص ٢١٨)

و مثل هذا كان شأن قاسم أمين الذي يرى حافظ فيه الشيخ و ينشد في قصيدة عنوانها «رثاء قاسم أمين بك»:

مُتَذَكِّراً يَومَ «الإِمامِ» به	يَومَ أُنْتَويتُ بِذلكَ البَطَلِ
----------------------------------	----------------------------------

(نفسه، ص ٣٨٩)

فقد عرفنا أن للشيخ دوراً رئيساً في توجيه آراء حافظ إبراهيم في أشعاره فلذلك جدير بنا بالبحث عن المجالات التي تجلى فيها تأثير شاعرنا بأستاذه الشيخ محمد عبده و أهم هذه المجالات:

الأول: مجال السياسة

آراء محمد عبده في مجال السياسة

لفهم تأثير آراء الشيخ السياسية في أشعار حافظ لابد لنا إلا أن نعرف آراءه في مجال السياسة. محمد عبده يقول: «إن وهداً في ديني لا يرضى بالفساد» (أمين، ص ٣٢٤). «ولكنه مع هذا الوجد يدعو إلى الإصلاح البطيء و يكره الطفرة و يريد أن يهبي الأمة و يعدّها لأن تحكّم نفسها حكماً صحيحاً بالتعليم وارتقاء الشعب حتى ينشأ جيل قوي يستطيع أن ينال الاستقلال و يحافظ عليه» (نفسه، ص ٦٠) (الدسوقي، ١٠٦/٢) و «إنّه كان يشعر بحرية في نقد الشؤون الاجتماعية والعادات الدينية ولكن لا يدلي برأيه بصراحة فيما يتعلق بالقضايا السياسية نزولاً لما تقتضيه الوظيفة الحكومية و انسجاماً مع أفكار رياض باشا الذي كان يعتقد مع الشيخ محمد عبده بالتدرج في الإصلاح السياسي» (رشيد رضا، ١٤٦/١).

إنه كان يرى تقدم شعبه عن طريق التعليم و التربية و كان يكره السياسة و يقول «فإن شئت أن تقول إنّ السياسة تضطهد الفكر أو العلم أو الدين فأنا معك من الشاهدين أعوذ بالله من السياسة و من لفظ السياسة و من معنى السياسة و من كل حرف يلفظ من كلمة السياسة و من كل خيال يخطر ببالي من السياسة و من كل أرض تذكر فيها السياسة و من كل شخص يتكلم أو يتعلم أو يجن أو يعقل في السياسة و من ساس و يسوس و سائس و مسوس» (كرد علي، ص ٣٥٧).

«ولكنه مع ذلك اضطر إلى ركوب مراكب السياسة و ما كان يدخل فيها، زجّ فيها رغم إرادته لذلك رأيناه يتخلى عن السياسة بعد أن صفا له الجو و لم يرض الدخول في غمارها بالفعل و القلب معلماً و مرشداً أي أنه شارك في السياسة بالقدر الذي أراده ثم نقض يده منها إلا قليلاً» (نفسه، ص ٣٥٠).

و«إنّ محمد عبده بدأ حياته السياسية المستقلة «اصلاحياً» لا «ثورياً» غير أن لقاء بالثورة العراقية قد ابتعد به خطوات قليلة عن الموقع «الإصلاحي» و اقترب به خطوات قليلة من الموقع «الثوري» و لكن عمر هذه الفترة لم يتجاوز أشهر (أوكتوبر ١٨٨١ للميلاد إلى يوليو ١٨٨٢) و عاد بها الرجل إلى جذوره الفكرية العميقة و الأصيلة «مصلحاً» لا يرى طريق الثورة بل يغمزه و يلمزه حيناً و يهاجمه في كثير من الأحيان» (عبده، ١٤٣/١).

فما هو سبب هذا اللين عند الشيخ خاصة إزاء الإنجليزيين ؟

إنه «كان صديقاً للورد كرومر لأنه كان يدفع عنه بطش عباس (الخدوي) و يمكنه من أن يسير في اصلاحاته بالأزهر و الأوقاف و القضاء» (الدسوقي، ١٠٦/٢) و «لأن عباساً لم يكن مخلصاً في وطنيته لاهم له إلا جمع المال و إيداعه بالمصارف الأجنبية خشية أن يعزله الإنجليز فجأة» (نفسه، ٣٧٦/١) فلا بد له من أن يلوذ في كنف الإنجليز و هذا هو الذي كَلَّ سيفه في مجال السياسة و «خاصة بعدما سقطت وزارة رياض باشا بقيام الثورة العراقية و كان الشيخ يومئذ لا يقول بالثورة و يصرح أن الأمة غير مستعدة للحكم الدستوري و أن الواجب تعليمها و تهذيبها أولاً» (كرد علي، ص ٣٥٠) و «هكذا بعد أن حاب ظنَّ محمد عبده في السياسة و السياسيين إثر فشل ثورة العراقي و نفيه إلى بيروت ثم إحقاق جمعية العروة الوثقى وإقبال حريدها أصبح الشيخ يشك في الإصلاح بمفهومه السياسي، فرجع إلى الإصلاح الفكري لرفع الوعي الاجتماعي في العالم الاسلامي عن طريق الدين الصحيح» (حسين الدسوقي، ص ٨٧). ولكنه هل يقضي هذا السلوك على كل ما كان لمحمد عبده من مجد؟

«اللهم لا فقد شاركه في رأيه السياسي حينذاك كثير من زعماء الأمة كسعد زغلول و فتحي زغلول و حسن عاصم، و محمود عاصم، و محمود سليمان، و سلطان وغيرهم إلا أنه تعرض للهجمات أكثر منهم ...» (رشيد رضا، ٢٤٢/٣).

حافظ إبراهيم و أشعاره في مجال السياسة

لقد تأثر حافظ بمنهج أستاذه في أشعاره السياسية والاجتماعية مند اتصل به (الدسوقي، ١٠٦/٢) وكما مرّ بنا ذكره آنفاً «و إن كنت تريد ما يضطرب في قلوب زعمائه و مصلحيه من دعوات عقلية و روحية و سياسية و وطنية فالتبثارة (أشعار حافظ) نفسها تتدفق عليها هذه الأنغام كأنها تعصرها إعتصاراً» (ضيف، ص ١٠٦) فهكذا نرى أن حافظاً «تأثر في موقفه مع الإنجليز برأي أستاذه الفهيم، فتراه يردد تلك النغمة التي كان يرددها محمد عبده -على رغم من وطنيته- نغمة الإعجاب بهم و الإطراء لمزايهم» (الدسوقي، ١٠٧/٢) «لأنَّ محمد عبده أبادي لاتنسى على حافظ فقد كان فقيراً فأعانه و جاهلاً فعلمه و مغموراً فرفع ذكره و عرفه بكثير من عظماء مصر و علمائها فلا بدع إذا انتهج منهجه في موادعتهم و معرفة منزلتهم والاعتراف بما يسدونه إلى مصر من جميل» (نفسه، ١٠٨/٢) فتراه ينشد و يمدحهم في قصيدة عنوانها «هتنة جلاله إدوارد السابع بتتوجيه»

يا دَوْلَةً فَوْقَ أَعْلَامِهَا أَسَّـدٌ تَخْشَى بَوَادِرَهُ الدُّنْيَا إِذَا زَأَرَا
بِالْأَمْسِ كَانَتْ عَلَيْكَ الشَّمْسُ ضَاحِيَةً وَالْيَوْمَ فَوْقَ ذُرَاكِ الْبَدْرِ قَدْ سَقَرَا
يُؤَلُّ عَرْشُكَ مِنْ شَمْسٍ إِلَى قَمَرٍ إِنْ غَابَتْ الشَّمْسُ أَوْلَتْ تَاجَهَا الْقَمَرَا

مَنْ ذَا يَنْوِيكَ وَ الْأَقْدَارُ جَارِيَةٌ بِمَا تَشَاءِينَ، وَالدُّنْيَا لَمَنْ قَهْرًا
إِذَا ابْتَسَمْتَ لَنَا فَالذَّهْرُ مُتَبَسِّمٌ وَإِنْ كَشَرْتَ لَنَا عَنْ نَابِهِ كَشْرًا
(حافظ، صص ٢٠-١٩)

ويعلل قوة الإنجليز بالشورى و العدل و التعاون و يقول:

لَا تَعْجَبَنَّ لِمُلْكٍ عَزَّ جَانِبُهُ لَوْلَا التَّعَاوُنُ لَمْ تَنْظُرْ لَهُ أَنْرَا
مَا ثَلَّ رُبُّكَ عَرْشًا يُجْرُسُهُ عَدْلٌ، وَلَا مَدَى فِي السُّلْطَانِ مِنْ عَدْرَا
خَبَرْتُهُمْ فَرَأَيْتُ الْقَوْمَ قَدْ سَهَرُوا وَعَلَى مَرَاقِبِهِمْ وَ الْمَلِكُ قَدْ سَهَرَا
تَشَاوَرُوا فِي أُمُورِ الْمَلِكِ مِنْ مَلِكٍ إِلَى وَزِيرٍ إِلَى مَنْ يَغْرِسُ الشَّجَرَا
(نفسه، ص ٢٠)

و إنه يودع اللورد كرومر الداهية و يثني عليه و إذا ذكرنا أن كرومر كان مكروهاً من عباس و صديقاً لمحمدعده لانتعجب لموقف حافظ فينبشده في قصيدة عنوانها «وداع اللورد كرومر»:

سَنْظُرِي أَيَادِيكَ الَّتِي قَدْ أَفْضَتَهَا عَلَيْنَا فَلَسْنَا أُمَّةً تَجْحَدُ الْبِيدَا
وَ كُنْتَ رَحِيمَ الْقَلْبِ تَحْمِي ضَعِيفَنَا وَ تَدْفَعُ عَنَّا حَادِثَ الذَّهْرِ إِنْ عَدَا
وَ لَوْلَا أَسَى فِي دُنْشِوَايِ وَ لَوْعَةٌ وَ فَاجِعَةٌ أَدَمَتْ قُلُوبَنَا وَ أَكْبَدَا
وَ رَمَيْكَ شَعْبًا بِاللَّعْصُوبِ غَافِلًا وَ تَصَوَّرُكَ الشَّرْفِي غَرًّا مُجَرَّدَا
لَدُنْنَا أَسَى يَوْمَ الْوَدَاعِ لِأَتْنَا نَرَى فِيكَ ذَاكَ الْمُصْلِحِ الْمُتَوَدِّدَا
(نفسه، ص ٢٠٧)

أكان حافظ يحب الإنجليز حبا صادقا؟ نفسه يجيب «إني أخاف السجن و لست أحتمله» (واصف، ص ٦١) ولكنه كان يرفض الاحتلال الأجنبي و إن لانت الإشارة و استدارت العبارة «فهو لا يثور على الإنكليز ثورة عنيفة بل يشجع الثورة عليهم بضرب من اللباقة و الحيلة حتى يتقي غياب سجونهم و فيرأينا أن هذا الاحتياط جاء من الطبقة المثقفة الممتازة (منهم محمدعده) التي كان حافظ يعيش في كنفها» (محمد عويضة، ص ٣١) و«إن حافظاً إذا مدح الغربيين أو تبرم بهم فإنها بتوحي حث المصريين على النهوض و تطهير أخلاقهم و عاداتهم» (كرد علي، ص ١٧٠)

تأثير موت محمد عبده في أشعار حافظ إبراهيم السياسية

إنَّ شاعر النيل غيرَ موقفه إزاء الإنجليز بعد موت الشيخ لأنه كان في طبعه وطنياً ولم يكن ممن يؤيدون حكم الإنجليز. بمصر فبعد موت أستاذه يستجيب لنداء وطنيته الكامنة في نفسه ولنداء الرجال الوطنيين الذين لا يرون في المحتلين ورجالهم خيراً و الذين لهم جرائم فيها أقلام مرهفة كالسيوف مضاء و حدة (الدسوقي، ١٠٩/٢-١٠٨)

فما إن وقعت حادثة «دنشواي» سنة ١٩٠٦ للميلاد حتى أذاع قصيدة بعد صدور الحكم بخمسة أيام فيقول فيها:

أَيْهَا الْقَائِمُونَ بِالْأَمْرِ فِينَا	هَلْ نَسَيْتُمْ وِلَاءَنَا وَ الْوِدَادَا
خَفَضُوا جَيْشَكُمْ وَ نَامُوا هَنِيناً	وَ ابْتَعُوا صَيْدَكُمْ وَ جُوبُوا الْبِلَادَا
إِذَا أَعْوَزْتَكُمْ ذَاتُ طَوْقٍ	بَيْنَ تِلْكَ الرُّبَا فَصِيدُوا الْعِبَادَا
إِنَّمَا نَحْنُ وَ الْحَمَامُ سَوَاءٌ	لَمْ تُغَادِرْ أَطْوَأَقْنَا الْأَحْيَادَا

(حافظ، صص ٢٩٢-٢٩١)

وبعد إنشاد قصائد لاذعة تنبه الإنجليز إلى أنَّ حافظاً قد تجاوز حده وإلى أنه قد انضم صراحة إلى الجبهة الوطنية وصار شاعرها الفذ فعملوا على وضعه في قفص الوظيفة حتى يسكت عنهم أو يرجع إلى سياسته القديمة من مهادنتهم فعين على يد حشمت باشا ناظر المعارف رئيساً للقسم الأدبي في دار الكتب المصرية سنة ١٩١١ للميلاد وبذلك كبل حافظ بقيود الوظيفة. (الدسوقي، ١١٤/٢)

الثاني: مجال التربية و التعليم

أما المجال الذي لا يمكن إغماض العين عنه في تأثير محمد عبده في أشعار حافظ إبراهيم هو مجال التربية و التعليم خاصة كما مرّ بنا ذكره آنفاً في باب بحث عن السياسة أن محمد عبده بدأ حياته السياسية «اصلاحياً» ولا «ثورياً» و هذا ما يؤيده عثمان أمين أستاذ الفلسفة في جامعة القاهرة و يقول: «قد قلنا و كررنا بأن قضية الإصلاح «جواني» إصلاح العقلية و العقيدة و الأخلاق هي الرسالة الأولى التي اضطلع بها الأستاذ الإمام...» (حسين الدسوقي، ص ٨٨).

آراء محمد عبده في مجال التربية و التعليم

يقول محمد عبده: «إنَّ مصيبة هذه الأمة بفساد أخلاقها أكبر من جميع مصائبها» (كرد علي، ص ٣٥٣) «فمن يريد خير البلاد فلا يسعى إلا في إتقان التربية و بعد ذلك يأتي له جميع ما يطلبه إن كان طالباً حقاً بدون إعتاب الفكر و إجهاد النفس» (عبده، ٤٦/١) و «إنَّ أوّل ما يجب أن يبدأ به التربية و

التعليم لتكوين رجال يقومون بأعمال الحكومة النيابية على بصيرة مؤيدة بالعزيمة و حمل الحكومة على العدل و الإصلاح...» (رشيد رضا، ١٤٧/٢-١٤٦) كما يقول: «أنّ مطلوبكم المحبوب هو العلم ... و كل مفقود يفقد بفقد العلم ... العلم محبى للنفوس و هو علم أدب النفس و كل أدب لها هو في الدين فما فقدناه هو التبحر في آداب الدين و ما نحس من أنفسنا طلبه هو التفقه في الدين» (عبده، ٦٥٠/١-٦٤٩)

و يؤكد على وجوب التربية ملازمة و متكاتفه بل متقدمة على التعليم و يقول: «إن كان الشخص ضعيف الإدراك أو فاسد الأخلاق، و إن كان عالماً بجميع علوم الدنيا فلا ريب أن يكون شقياً في نفسه و سياء في الشقاء لغيره و لا تغني عنه المعلومات بل ذهب بعض الحكماء إلى أنّه لا ينال العلم من أي نوع كان حقيقة إلا بعد أن تحلّى النفس بالصفات الجمالية» (نفسه، ٢٧/٣).

و يرى: «أنّ الكتب لا تفيد القلوب العمي إلا إذا صادفت قلوباً متيقظة عالمة بوجه الحاجة إليها» (کرد علي، ص٣٥٦). إنّ الشيخ يفضّل العصر الجاهلي على العصر المعاصر لعدم فهم الناس و فساد شعورهم و يقول: «ليتني أشكو إلى الله جهل العالمين، و حقّ المعلمين في مثل هذه الجاهلية التي بعث النبي لحو أحكامها و إزالة أيامها، تلك الجاهلية كان الضلال فيها بعيداً ولكن فهم القول جديداً، لذلك عند ما لاح لهم ضوء الهدى أبصروه و عندما قرع أسماعهم صوت الداعي أجابوه ... أما اليوم فإنما أشك من قلة الفهم و ضعف العقل و احتلال نظام الإدراك و فساد الشعور عند الخاصة، فلا يجذبهم فصاحة و لا تبلغ منهم بلاغة و غاية ما يطلبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا و أن يوصفوا بالعلم و إن لم يعقلوا، و أن تقتضي حاجاتهم إذا سألوا و أن ترفع مكانتهم و إن تزلوا...» (نفسه، ص٣٦٤).

و هو لا ينسى أيضاً جانب تربية النساء و قال في خطبة بالجمعية الخيرية الإسلامية: «نحن ننتهي بناتنا فإنّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِم بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة، ٢٢٨) و إلى غير ذلك من آليات الكريمة التي تشرك الرجل و المرأة في التكاليف الدينية و الدنيوية... و ترك البنات يفترسهنّ الجهل و تستويهنّ العباوة من الجرم العظيم» (هدارة، ص٣٥٧). و كان غرض هذه الجمعية «التعاون على تربية أولاد الفقراء و المساكين من المسلمين و إعانة العاجزين منهم على الكسب» (کرد علي، ص٣٥٤).

هذه الآراء و الأعمال أثرت في تلاميذه كما نرى أنّ الغلابيني يقدّم كأستاذه أمر التربية على التعليم فيقول: «إنّ التربية أشرف و أنبل من التعليم لأنّ العاقل الخير يجد في نفسه ارتياحاً لقوم حسنت تربيتهم و نبلت أخلاقهم و كرمت نفوسهم» (حسين الدسوقي، ص١٠١).

حافظ إبراهيم وأشعاره في مجال التربية والتعليم

فكما مرّ بنا ذكره آنفاً أنّ الشيخ «... يريدُه (حافظ) أن يطرق معاني جديدة في الإصلاح من حضّ المصريين على النهوض و دعوتهم إلى تحسّن الأخلاق و التربية ...» (كرد علي، ص ١٦٣). و «أنّ قصائده الاجتماعية و نقده للمجتمع المصري في شتى أحواله و مختلف رجاله ليس إلاّ متأثراً بمنهج الإمام.....» (الدسوقي، ١٠٦/٢) فنراه يقول في حسن الأخلاق في قصيدة عنوانها «مدرسة البنات ببورسعيد»:

و الشَّرْبُ بَيْنَ تَنَافُسٍ وَ سِبَاقِ	مَا الْبَالِيَّةُ فِي صَفَاءِ مِرَاجِحِهَا
وَ الْبَدْرُ يَشْرِقُ مِنْ جَبِينِ السَّاقِي	وَ الشَّمْسُ تَبْدُو فِي الْكُؤُوسِ وَ تَحْتَفِي
قَدْ مَازَجَتْهُ سَلَامَةُ الْأَذْوَاقِ	بِأَلَدٍ مِنْ خُلُقِ كَرِيمٍ طَاهِرٍ
قَدْ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الْأَرْزَاقِ	فَإِذَا رَزَقْتَ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً

(حافظ، ص ٢٢٨)

و يقدّم كأستاذه أمر التربية على التعليم و يردد نغمة الشيخ:

تَعْلِمِهِ كَانَ مَطِيئَةَ الْإِخْفَاقِ	وَ الْعِلْمُ إِنْ لَمْ تَكْتَنِفْهُ شَمَائِلُ
مَا لَمْ يُتَّوَجَّ رَّبُّهُ بِخَلَاقِ	لَا تَحْسَبَنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُ وَحْدَهُ
لَوْ قِيعَةً وَ قَطِيعَةً وَ فِرَاقِ	كَمْ عَالِمٌ مَدَّ الْعُلُومَ حَبَائِلًا
لِمَكِيدَةٍ أَوْ مُسْتَحَلِّ طَلَاقِ	وَ فُقَيْهِ قَوْمٍ ظَلَّ يَرُصِدُ فِقْهَهُ

(نفسه، ص ٢٢٩)

و يدعو كالشيخ بتربية البنات و يقول:

فِي الشَّرْقِ عَلَّةٌ ذَلِكَ الْإِخْفَاقِ	مَنْ لِي بِتَرْبِيَةِ النَّسَاءِ فَإِنَّهَا
أَعْدَدَتْ شَعْبًا طَيِّبَ الْأَعْرَاقِ	الْأُمَّ مَدْرَسَةً إِذَا أَعْدَدَتْهَا
بِالرَّيِّ أَوْ رَقِّ أَيْمًا إِيْرَاقِ	الْأُمَّ رَوْضٌ إِنْ تَعَهَّدَهُ الْحِيَا
شَعَلَتْ مَا نَرَهُمْ مَدَى الْأَفَاقِ	الْأُمَّ أَسْتَاذَ الْأَسَاتِذَةِ الْأَلَى

(نفسه، ص ٢٣٠)

و يفضّل كأستاذه العصر الجاهلي على العصر المعاصر و يقول:

مِنْ هَوْلِهَا أُمَّ الصَّوَاعِقِ تُفَرِّقُ	لَاهُمْ إِنْ الْعَرَبُ أَصْبَحَ شُعْلَةً
---	--

العِلْمُ يَذْكِي نَارَهَا وَ تُثْبِرُهَا
وَلَقَدْ حَسِبْتُ الْعِلْمَ فِينَا نِعْمَةً
فَإِذَا بِنِعْمَتِهِ بَاءَءُ مُرْهَقٌ
إِنْ كَانَ عَهْدُ الْعِلْمِ هَذَا شَأْنَهُ
مَدَنِيَّةٌ خَرَقَاءُ لَا تُتَرَفَّقُ
تَأْسُو الضَّعِيفَ وَ رَحْمَةً تُتَدَفَّقُ
وَ إِذَا بَرَحِمَتِهِ قَضَاءٌ مُطْبِقٌ
فِينَا فَعَهْدُ الْجَاهِلِيَّةِ أَرْفَقُ
(نفسه، صص ٣٣٧-٣٣٦)

فهكذا رأينا آراء الشيخ بارزة في أشعار حافظ إبراهيم في مجال التربية و التعليم.

الثالث: مجال المرأة و الدعوة إلى حقوقها

آراء الشيخ في مجال المرأة و الدعوة إلى حقوقها

في باب المرأة آراء الشيخ كثيرة فيقف بجانبها و يدافع عنها داعياً إلى جميع حقوقها و كامراً بنا ذكره آنفاً في باب التربية و التعليم أن الشيخ دعا إلى تربية النساء و تعليمهن مستشهداً بقول الله تعالى ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِم بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة، ٢٢٨).

فهو يرى أن الأمة «تتألف من البيوت أو العائلات فصلاحيها، صلاح الأمة و من لم يكن له بيت لا تكن له أمة، و ذلك أن عاطفة التراحم و داعية التعاون إنما تكونان على أشدهما و أكملها في الفطرة بين الوالدين و الأولاد، ثم بين سائر الأقربين، فمن فسدت فطرته لآخر فيه لأهله» (عبده، ٤/ ٢٢٥).

و يرى الشيخ أن للرجل ولاية على المرأة و يعلل قول الله تعالى ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ (نساء، ٣٤) و يقول: «المراد بالقيام هنا هو الرئاسة التي يتصرف فيها المرؤوس بإرادته و اختياره و ليس معناه أن يكون المرؤوس مقهوراً مسلوباً الإرادة لايعمل عملاً إلا ما يوجهه إليه رئيسه، فإن كون الشخص قيماً على آخر هو عبارة عن إرشاده و المراقبة عليه في تنفيذ ما يرشده إليه أي ملاحظته في أعماله و تربيته و منها حفظ المنزل و عدم مفارقتة، و لو لنحو زيارة أولى القربى إلا في الأوقات و الأحوال التي يأذن بها الرجل و يرضي» (نفسه، ٢٠١/٥)

و أكد على تربية المرأة و تعليمها و دور البيوت في إصلاح الأمة و هاجم تقييد المرأة في الزواج و بعده ولكن رغم ما طلب الشيخ من تعليم المرأة و المطالبة بأكثر حقوقها لم يستطع أن يتجاوز و يخالف روح العصر السائدة في ذلك الوقت، و التي كانت تجبر المرأة بلزوم بيتها و عدم الخروج إلا للضرورة، فلذلك نراه يعتقد «أن الله سبحانه و تعالى قد حصر وظيفة المرأة في العائلة و حصر الوظائف العمومية في الرجال و ليس في ذلك ما يمنع من ترقى المرأة و الوصول بها إلى أعلى مرتبة تستحقها» (حسين الدسوقي، ص ١٥٧).

و في الكلام عن الحجاب وجد الشيخ أنّ الإسلام أباح كشف الوجه والكفين مستشهداً بما ورد في الحديث: «إن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله (ص) وعليها ثياب رقاق، فأعرض النبي (ص) عنها وقال: يا أسماء إذا بلغت المرأة الحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا وأشار إلى وجهه وكفيه» (السيوطي، ٤٢/٥) ولذلك فإنّ الشيخ «عا إلى رفع النقاب بعد أن اعتبر أنه ليس من المشروعات الإسلامية بل من العادات القديمة السابقة على الإسلام و أنه يعيق تحرك المرأة في حياتها الاجتماعية بل دفعه استنكاره لأمر النقاب أن اعتبره آلة تمكن للمرأة أن تستخدمها لأغراض غير شريفة تختفي في ذلك خلفه شخصيتها». (حسين الدسوقي، ص ١٥٩)

حافظ إبراهيم و أشعاره في مجال المرأة و الدعوة إلى حقوقها

رأينا آراء محمد عبده في الدفاع عن المرأة، فما هي الحال بالنسبة إلى حافظ إبراهيم الذي «ظلّ بعيداً عن المرأة لم تستهوه قط في شيء ولاشغلت من كيانه حيزاً يذكر بخلاف ما هي حالها مع سائر الشعراء و خلاف ما هي حال الشعراء معها، بوجه عام حتى ليحسب المرء أنه لم يمرّ بدور «الشباب» في حياته (محمد عويضة، ص ٢٠)» وذكرنا أيضاً أنّ زواجه لم يكن ناجحاً و هناك شائعة مفادها: «إن أمّه هي التي زينت له الحياة الزوجية و أنه لم يقدم على الزواج على اقتناع منه أو رغبة أو حبّ...». (نفسه، ص ٢١)

هذه كانت حال حافظ فكيف يمكن للذي لاحبّ له للنساء أن يدافع عنهنّ و يقف بجانبهنّ داعياً إلى جميع ما لهنّ من الحقوق. و يعجبك الأمر أنه لم يكن ماجناً و يكره التغرّل بالنساء فيقول في مدح محمد عبده في قصيدة عنوانها «تهنئة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، بمنصب الإفتاء»:

بَلَعْتُكَ و لم أنسُبُ و لم أتعرّزِ و لَمَّا أَقَفَ بَيْنَ الْهُوَى و التَّدَلُّ
و لَمَّا أَصِفُ كَأَسَا و لم أبك مَنزَلاً و لم أتتجلّ فخرّاً و لم أتتبل
فلم يبّق في قلبي مديحك مَوْضِعاً تُجُولُ بِهِ ذِكْرِي حَبِيبٍ و مَنزِلِ
(حافظ، ص ١٠)

فلا بد لنا من تأييد أنّ تقييد المرأة و إذلالها و كل ذلك آل بمصر إلى الحالة التخلفية التي تختبئ فيها كل ذلك كان هدفاً لثورة حافظ و انتفاضته الإصلاحية بروح الإمام محمد عبده. و كما مرّ بنا ذكره آنفاً في باب التربية و التعليم أنه يرى كالشيخ حقّ التعليم للمرأة و يؤكّد على تربيتها و أنّ إصلاحها، إصلاح الأمة. «فرأيه في السفور و الحجاب متوسط و هو أشبه بالحجاب الشرعي» (كرد علي، ص ١٠١) و يرى كأستاذه بلزوم بيت المرأة و يقول:

أنا لا أقول دَعُوا النِّسَاءَ سَوَافِرًا بَيْنَ الرِّجَالِ يَجْلُنَ فِي الْأَسْوَاقِ

يَدْرُجْنَ حَيْثُ أَرَدْنَ لَا مِنْ وَاذِعٍ
يَفْعَلْنَ أفعالَ الرَّجَالِ لَوَاهِيَا
فِي دُورِهِنَّ شُؤُونُهُنَّ كَثِيرَةٌ
يَحْذَرْنَ رِقَبَتَهُ وَلَا مِنْ وَاقِي
عَنْ وَاجِبَاتِ نَوَاعِسِ الْأَحْدَاقِ
كَشُؤُونَ رَبَّ السَّيْفِ وَالْمِزْرَاقِ
(حافظ، ص ٢٣٠)

و ينشد في ذمّ تقييد المرأة كأراء أستاذه في هذا المجال:

كَلِمًا وَلَا أَدْعُوكُمْ أَنْ تُسْرِفُوا
لَيْسَتْ نِسَاؤُكُمْ حُلِيًّا وَجَوَاهِرًا
لَيْسَتْ نِسَاؤُكُمْ أَثَانًا يَفْتَنَنِي
تَتَشَكَّلُ الْأَزْمَانُ فِي أَدْوَارِهَا
فَتَوَسَّطُوا فِي الْحَالَتَيْنِ وَأَنْصِفُوا
فِي الْحَجَبِ وَاللِّتْنِيَّةِ وَالْإِرْهَاقِ
خَوْفَ الضِّيَاعِ تُصَانُ فِي الْأَحْقَاقِ
فِي الدُّورِ بَيْنَ مَخَادِعِ وَطِبَاقِ
دَوْلًا وَهَنَّ عَلَى الْجُمُودِ بَوَاقِي
فَالشَّرُّ فِي التَّقْيِيدِ وَالْإِطْلَاقِ
(نفسه، ٢٣٠)

و في قصيدة خاطب قاسم أمين صاحب «تحرير المرأة» و يؤكد على رأي أستاذه الشيخ فيرفع

النقاب و يقول:

أَقَاسِمُ إِنَّ الْقَوْمَ مَاتَتْ قُلُوبُهُمْ
إِلَى الْيَوْمِ لَمْ يُرْفَعْ حِجَابُ ضِلَالِهِمْ
فَلَوْ أَنَّ شَخْصًا قَامَ يَدْعُو رِجَالَهُمْ
و لَوْ خَطَرَتْ فِي مِصْرَ حَوَاءَ آمِنًا
و فِي يَدِهَا الْعَدْرَاءُ يَسْفِرُ وَجْهَهَا
و خَلَفَهَا مُوسَى وَ عِيسَى وَ أَحْمَدُ
و قَالُوا لَنَا: رَفَعَ النِّقَابِ مُحَلَّلٌ
و لَمْ يَفْقَهُوا فِي السَّفْرِ مَا أَنْتَ كَاتِبُهُ
فَمَنْ ذَا تُنَادِيهِ فَمَنْ ذَا تُعَاتِبُهُ
لِيُضَعِ النِّقَابَ لَأَسْتَقَامَتْ رِغَابُهُ
يَلُوحُ مُحَايَاهَا لَنَا وَ نُزَاقِيهِ
تَصَافِحَ مِنَّا مَنْ تَرَى وَ تُخَاطِبُهُ
وَ حَيْشُ مِنَ الْأَمْلَاقِ مَا جِئْتَ كَوَاكِبُهُ
لَقَلْنَا: نَعَمْ وَلَكِنْ نُجَانِبُهُ
(كرد علي، ص ١٨٧)

لم يجد محمد كردعلي هذه الأبيات في ديوان الشاعر.

و في مكان آخر ينشد في تأييد رأي أستاذه و قاسم أمين في قصيدة عنوانها «رثاء قاسم أمين بك»

و يدعي أن المستقبل ليثبت صحة آرائهما:

إِنْ رَيْتَ رَأْيًا فِي الْحِجَابِ وَ لَمْ
الْحُكْمُ لِلْأَيْسَامِ مَرْجِعُهُ
و كَذَا طُهَاءُ الرَّأْيِ تَتْرُكُهُ
تُعْصَمُ، فَتَلِكِ مَرَاتِبُ الرُّسُلِ
فِي مَا رَأَيْتَ فَتَنْمُ وَ لَا تَسْلُ
لِلدَّهْرِ يَنْضِجُهُ عَلَى مَهْلٍ

فإذا أصبتْ فأنتَ خيرُ فتيٍّ وَصَعَّ الدَّوَاءَ مواضعَ العِلَلِ
أولاً فحَسْبُكَ ما شَرُفَتْ بهِ وَ تَرَكْتِ في دُنْيَاكَ مِنْ عَمَلِ

(حافظ، ص ٣٨٩)

ولكننا لانسى أنه في هذه القصيدة نفسها يشير إلى أنه يتذكر بقاسم أمين محمد عبده، و كأنه ينشد هذه القصيدة للشيخ و يقول:

مُتَذَكِّراً يَوْمَ الإِمَامِ بهِ يَوْمَ انْتَوَيْتُ بِذَلِكَ البَطْلِ

(نفسه، ص ٣٨٩)

ختام البحث

بعد ما التمسنا من وجوه تأثيرات الشيخ على أشعار شاعر النيل السياسية و الاجتماعية و بعد ما قطعناه من البحث و الاستقصاء وصلنا إلى مجمل البحث أن حافظاً تأثر من أستاذه بلاشك و أن هذه التأثيرات ظهرت في مجال السياسة و التربية و التعليم و المرأة و الدعوة إلى حقوقها فهكذا ترى أشعاره مماثلة لآرائه بل ترى حافظاً ينضد آراء الشيخ في بعض الأحيان.

فإنه كان يردّد نغمات الشيخ في مجال السياسة و يدعو كأستاذه إلى كسب العلم و تزكية النفس و يقف إلى جانب النساء و يدافع عنهن لكن الباحث الحقيقي لا يسقط كل ما يمتاز به الشاعر من سمات فردية و ذاتية و لا ينكر عليه ذوقه الشخصي من خلال إخضاعه لشخص خاص أو قوانين خاصة من أمثال تأثير العامل الجغرافي أو الثقافي فلذلك لسنا ندعي دراسة كل المؤثرات في شعره بل كل ما يعنينا تقصيه هو تأثير آراء الشيخ في أشعاره و لا غير و أبواب البحث عن المؤثرات الأخرى مادامت مفتوحة أمام الباحثين.

المصادر و المراجع

- القرآن الكريم
- إسماعيل، عزالدين، الشعر العربي المعاصر قضاياها و ظواهره الفنية و المعنوية، بيروت، دارالثقافة العربية، لا ط، ١٩٩٦م.
- أمين، أحمد، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، بيروت، دارالكتب العربي، لا ط، د.ت.
- الباوي، محمد محمود، عمالقة الأدب العربي المعاصر، بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، لا ط، ٢٠٠٤م.
- تيمور، محمود، اتجاهات الأدب العربي في السنين المائة الأخيرة، المطبعة النموذجية، لا ط، ١٩٧٠م.
- حافظ، محمد، ديوان، بيروت، دارالصادر، ط ١، ١٩٨٩م.
- حسين الدسوقي، منى، الشيخ مصطفى الغلاييني في مفاهيمه الإصلاحية دراسة مقارنة بينه و بين الشيخين جمال الدين الأفغاني و محمد عبده، بيروت، المكتبة العصرية، ط ١، ١٩٩٩م.
- الدسوقي، عمر، في الأدب الحديث، بيروت، دارالفكر، ط ٢، ٢٠٠٣م.
- رشيدرضا، محمد، تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، مصر، مطبعة المنار، ط ١، ١٩٣١م.
- السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، بيروت، دار الكتب العربي، لا ط، د.ت.
- شرارة، عبدالطيف، حافظ، بيروت، دارالبيروت للطباعة والنشر، لا ط، ١٩٨٢م.
- ضيف، شوقي، الأدب العربي المعاصر في مصر، القاهرة، دارالمعارف، ط ٧، د.ت.
- عبده، محمد، الأعمال الكاملة، جمعها و حققها و قدم لها محمد عمارة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط ١، ١٩٧٢م.
- علوش، جميل، من حديث الشعر و الشعراء، القاهرة، مركز الحضارة العربية، ط ١، ٢٠٠١م.
- كرد علي، محمد، المعاصرون، علق عليه محمد المصري، بيروت، دارالصادر، ط ٢، ١٩٩٣م.
- مبارك، زكي، حافظ إبراهيم، إعداد و تقدم زكي مبارك، بيروت، دار الجليل، لا ط، ١٩٩١م.
- محمديوضه، محمد، حافظ إبراهيم شاعر النيل، بيروت، دارالكتب العلمية، لا ط، ١٩٩٣م.
- هدارة، محمد مصطفى، بحوث في الأدب العربي الحديث، بيروت، دارالنهضة العربية، لا ط، ١٩٩٤م.
- واصف، أبو الشهاب، القديم و الجديد في الشعر العربي الحديث، بيروت، دار النهضة العربية، لا ط، ١٩٩٨م.

تأثیر اندیشه‌های محمد عبده در اشعار اجتماعی حافظ إبراهيم

دکتر علی پیرانی شال

استادیار گروه زبان ادبیات عربی دانشگاه تربیت معلم

احمد امیدوار

کارشناس ارشد زبان و ادبیات عربی دانشگاه تربیت معلم

چکیده

حافظ ابراهیم «شاعر نیل» از شعرای مشهور مصر است. وی در اشعار اجتماعی خویش متأثر از شیخ محمد عبده بود. این تأثیرات در زمینه‌های سیاست، تربیت و تعلیم و دفاع از زن و حقوق وی خودنمایی می‌کند. در زمینه سیاست، وی همانند عبده، به نظریه اصلاح و اعتراض دور از افراط معتقد است و در اشعار خویش راه سازش با انگلیسی‌ها به خصوص لورد کرومر را در پیش می‌گیرد و اگر به آنها اعتراضی می‌کند همراه با نوعی چرب‌زبانی است. مرگ شیخ بر این رویه تأثیر می‌گذارد لذا بر انگلیسی‌ها می‌تازد. وی بزرگ‌ترین مصیبت جامعه را فساد اخلاق و جهل مردم می‌داند و نخستین امر ضروری برای پیشرفت جامعه در نظر او کسب علم و تزکیه نفس است و پرورش را مقدم بر آموزش می‌داند، و خواستار حق آموزش زنان است و معتقد است که اصلاح آنان اصلاح جامعه است؛ ولی زنان را ملزم به امور خانه داری می‌داند و مخالف در قید و بند کردن افراطی زنان است و همچون شیخ روبند را رد می‌کند و آن را از امور شرعی نمی‌داند.

کلیدواژه‌ها: حافظ ابراهیم، محمد عبده، سیاست، تعلیم و تربیت، زن

